المقتبس

رسالة ابن القارح

الى ابي العلاء المعري

(الى القارئ مخطوطاً من انفس المخطوطات ظفرنا به في خزانة كتب استاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه ابو حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح الى ابي العلاء المعري فاجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١ – ١٩٠٣ في مطبعة هندية . اما ابن القارح وكان يلقب بدوخلة فكان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قؤوماً بالنحو وكان ممن خدم ابا علي الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر . قال ابن عبد الرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة احدى وعشرين واربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل فمات في ولاية [illegible] بعد وكان يذكر ان مولده بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . قال ياقوت وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى ابي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابه ابو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم

استفتاحاً باسمه واستنجاحاً ببركته والحمد لله المبتدي بالنعم المتفرد بالقدم الذي جل عن شبه المخلوقين وصفات المحدثين وولي الحسنات المبرأ من السيئات العدل في افعاله الصادق في اقواله خالق الخلق ومبديه ومبقيه ما شاء ومفنيه وصلواته على محمد وابرار

عترته واهله صلوة ترضيه وتقربه وتدنيه وتزلفه وتحظيه كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ومد مدته وادام كفايته وسعادته وجعلني فداءه وقبيلي قبله لي الصحة والحقيقة وبعد القصد والعقيدة وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ولا اني تنقص وخلابة وتحبب ومصانعة ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له كيف تجدك جعلني الله فداك وهو يقصد تحيا ويريد تلفاً ويظن انه قد اسدى جميلا يشكره صاحبه ان نهض واستقل ويكافئه عليه ان افاق وابل عن سلامة قلبها بحضور حضرته وعائق نفاذها بالتشرف بشريف غرته وميمون نقيبته والملة وبالله الكريم تقدست اسماؤه اني لو حننت اليه ادام الله تأييده حنين الواله الى بكرها وذات الفرخ الى وكرها او الحمامة الى الفها او الغزالة الى خشفها لكان ذلك مما تغيره الليالي والايام والعصور والاعوام لكنه حنين الظمآن الى الماء والخائف الى الامن والسليم الى السلامة والغريق الى النجاة والقلق الى السكون بل حنين نفس النفيسة الى الحمد والمجد فاني رأيت نزاعها اليهما نزاع الاسطقسات الى عناصرها والاركان الى جواهرها فان وهب الله لي ملاءً من العمر يؤنسني برؤيته ويعلقني بحبل مودته صرت كساري الليل القى عصاه واحمد مسراه وقر عيناً ونعم بالاً وكان كمن لم يمسه سوء ولم يتخوفه عدو ولا نهكه رواح ولا غدو وعسى الله ان يمن بذلك بيومه او بشيء وبه الثقة واياه اسأل انه على التداني والنوى والبعاد امتاعه بالفضل الذي استولى على عاتقه وغاربه واستوفى على مشارقه ومغاربه فمن مر على بحره العجاج ونظر في لألاء بدره الوهاج خليق بان يكون قلبه بآماله وينبو طرفه عن وسائله الا ان يلقي اليه بالمقاليد او يستهوى به اقليداً من الاقاليد فيكون منسوباً اليه ومحسوباً عليه ونازلاً في شعبه واحد اصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسمك بحره وغد غمره وهيهات ضاق قفر عن مسير ليس التكحل في العينين كالكحل خلقوا اسخياء لا متساخين وليس الحق من يتساخى لا محيا واخلاق النفس تلزمها لزوم الالوان للابدان لا يقدر الابيض على السواد ولا الاسود على البياض ولا الشجاع على الجبن ولا الجبان على الشجاعة قال ابو بكر العرزمي :

يفر جبان القوم عن أم رأسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل اقاربه
ومن لا يكف الجهل عمن يوده فسوف يكف الجهل عمن يواثبه

ومن ابن للضباب صوب السحاب وللغراب هدى العقاب وكيف وقد اصبح ذكره

في مواسم الذكر آذنا وفي معالم الشكر لسانا من دافع البيان وكابر الأنس والجان واستبد بالافك والبهتان كان كمن صالب بوقاحته الحجر وحاسن بقباحته القمر وهذى وهذر وتعالى فعثر وكان كمحموم بشم فعفر ونادى على نفسه بالنقص في البدو والحضر وكان كما قال من يعنيه ولا اشك فيه

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وزاده شرفا لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله ذا اللسانين لعن الله كل شقار لعن الله كل قتات . ووردت حلب طاهرها حماها الله تعالى وحرسها بعد ان منيت بربضها بفرخين وام جعفر كوي والشكرين بل رميت بآبدة الآباد والداهية النآد فلما دخلتها وعهدي بها تتفجر في الدار وقد نكرتها لفقدان معرفة وجار وانشدتها باكيا :

اذا زرت ارضاً بعد طول اجتنابها فقدت حبيباً والبلاد كما هيا

كان ابو القطران المرار بن سعيد الفقعسي يهوى ابنة عم له يقال لها وحشية فاعتداها رجل شامي الى بلده ثم بعدها وساءه فراقها فقال من قصيدة :

اذا تركت وحشية النجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طبيب

رأى نظرة منها فلم يملك البكا معاوز برد تحتهن كثيب

وكانت رياح الشام تكره مرة فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فحصلت من الرياح على الرياح كما حصل لابي القطران من وحشية ثم وثم وثم

جرى ذكره ادام الله تأييده من غير سبب جره ولا منتقص الفقهاء فقال الشيخ النحو اعلم من سيبويه واللغة والعروض من الخليل الخ والنحاس بأزز يعني انه ادام الله تأييده يصغر كبيره ويحرر حقيره فيصغر صغيره تكبيرا وتحقيره تكثيرا وهكذا شاهدت من شاهدت من العلماء رحمهم الله اجمعين رحمة وارث اطول اعمارهم وامدها واقصرها وارغدها وما ثم له حاجة دعت الى هذا فدفع الجور ووضح النور واضاء الصبح لذي عينين كان ابو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة ادام الله حراسته كتب رسالة الي اعطانيها ورسالة اليه ادام الله تأييده مستودعها وسألني ايصالها الى جليل حضرته واكون نائبا لا آنفا ومحجا لا مرجحا فسرق عديلي رحلا لي الرسالة فيه وكنت عنده الرسالة المذكورة بوري وابث شتوري والطاه الطع عجري وبجري وما لقيت في سفري من الفراء يدعون العلم والادب والادب ادب النفس لا أدب الدرس ثم

أمثال منهما جميعاً وفي مصحفات كنت أنا رددتها عليهم [illegible] التصحيف إلي وصاروا إلباً علي [illegible] الفرج [illegible] كتب [illegible] على تلك كتبك هذه [illegible] قد رأيت من الشريعة الحنيفية أظهر من ذلك اعطانا وانكارا فقلت له انت على [illegible] لا [illegible] صغر الخطر الخمر وكتب الي رسالة يقرظني فيها [illegible] قال المتنبي: اذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم [illegible] وتكثير [illegible] مستوراً واظهر تحيزاً مستورا وهو داخل في جملة الشعر [illegible] من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه [illegible] ساعده [illegible] سبب القوة ان يطلق في اهله [illegible] وكيف وهو القائل [illegible]:

أسير الى اقطاعه في ثيابه   على طرفه من داره بحسامه

ولقد كان [illegible] بين [illegible] ولا يجب ان يشكو [illegible] ولا [illegible] حركات الفلك الا ان يكون من يعتقد ان الافلاك تعقل [illegible] وتدري مواقع افعالها بقصود وارادات [illegible] هذا الاعتقاد [illegible] فيكون منافقاً لقوله

[illegible]   ومن يدعي أنها تعقل

او يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء [illegible]

حكى [illegible] ابن ابي الازهر [illegible] وأهل بغداد وأهل مصر [illegible] فيه ان المتنبي اخرج [illegible] من الحبس الى مجلس ابي الحسن علي بن عيسى الوزير رحمه الله فقال له: انت احمد النبي فقال انا احمد المتنبي وكشف عن بطنه واراه سلعة فيه وقال هذا طابع نبوتي وعلامة رسالتي [illegible] وقاده الى محبسه ويقول [illegible]

[illegible]   [illegible]

[illegible]

القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ويتظرفون ويتنظفون إجلالا بذلك المذهب تيه وحمق وظرف زنديق . وقتل المهدي بشاراً على الزندقة والاشهر بها وحاف دافع عن نفسه بقوله

يا ابن نهيا رأسي علي ثقيل ‌ واحتمال الرأسين عبء ثقيل
فادع غيري الى عبادة ربيـ ‌ ـن فاني بواحد مشغول

واحضر صالح بن عبد القدوس واحضر النطع والسياف فقال علام تقتلني قال على قولك

رب سر كتمته فكأني ‌ اخرس او ثنى لسانه عقل
ولو اني اظهرت للناس ديني ‌ لم يكن لي في غير حبسي اكل

ياعدي الله وعدي نفسه

الستر دون الفاحشات ولا ‌ يلقاك دون الخير من ستر

فقال قد كنت زنديقا وقد تبت عن الزندقة قال كيف وانت القائل

والشيخ لا يترك عاداته ‌ حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله ‌ كذي الضنى عاد الى نكسه

وانفذ نصفه السياف فاذا رأسه يتدهدا على النطع . وظهر في ايامه سبئي في خلف بخارا وراء النهر رجل قصار اعور عمل له وجها من ذهب وخوطب برب العزة وعمل لم [illegible] المهدي [illegible] فأحيط به وبلغته يحرق كل شيء فيها وجمع كل من في القصر وسقاهم شرابا مسموما فماتوا اجمعهم وشرب [illegible] معهم وعجل الله بروحه الى النار . والصناديقي في اليمن فكانت جيوشه [illegible] وخوطب بالربوبية وكوتب بها فكانت له دار افاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها ويدخل الرجال عليهن ليلا قال من يوثق بخبره دخلت اليها لانظر فسمعت امرأة تقول يا بني فقال : يا أمه نريد ان نمضي امر ولي الله فينا وكان يقول اذا فعلتم هذا لم يحجب مال عن مال ولا ولد عن ولد فتكونون كنفس واحدة فغزاه الحنفي [illegible] فهزمه وتحصن منه في حصن [illegible] فانفذ اليه الحنفي [illegible] [illegible] وسمي [illegible] القائل

اذا مت [illegible] ‌ ولا [illegible] القرن [illegible]
[illegible] الذي [illegible] من [illegible] ‌ [illegible] [illegible]

ورمى المصحف بالنشاب وخرقه وقال

اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب خرقني الوليد

وانفذ الى مكة بناء محوجاً يبني له عَلَى الكعبة مشربة فمات قبل تمام ذلك فكان الحجاج يقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك ياقاتل الوليد بن يزيد لبيك واحضر بتاجية من ذهب وفيها جوهرة جليلة القدر وصورة رجل فسجد له وقبله وقال اسجد له ياعلج قلت ومن هذا قال هذا ماني شأنه كان عظيما اضمحل امره لطول المدة فقلت لايجوز السجود الا لله فقال قم عنا وكان يشرب عَلَى سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور وفيها اقداح فقال لندمائه اين القمر الليلة فقال بعضهم : في الباطية فقال : صدقت لئيت على ما في نفسي والله لاشربن المفتحة يعني شرب سبعة اسابيع متتابعة وكان بموضع حول دمشق يقال له الاغر فقال

تلعب بالنبوة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي اراد ان يفتتح بها وابو عيسى بن الرشيد القائل

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ولاصمت شهراً بعده آخر الدهر

ولو كان يعديني الامام بقدرة عَلَى الشهر لاستعديت دهري عَلَى الشهر

عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله . والجنابي قتل بمكة الوفا واخذ ستة وعشرين الف جمل حفاً وضرب آلاتهم واثقالهم بالنار واستملك من النساء والغلمان والصبيان من ضاق بهم الفضاء كثرة ووفوراً واخذ حجر الملتزم وظن انها مغاطيس القلوب واخذ الميزاب قال : وسمعت قائلاً يقول لغلام وحسان طوال يرفل في برديه وهو فوق الكعبة يارحمة الله اسرع يعني ميزاب الكعبة فظن ان اصحاب الحديث صحفوه فقالوا يقلعه غلام اسمه رحمة كما صحفوا عَلَى علي رضي الله قوله تهلك البصرة بالريح فهلكت بالزنج لانه قتل عظماء البصرة في موضع يقال له العتيق اربعة وعشرين الفاً عدوهم بالقصب وحرق جامعها وقال في خطبته يخاطب الزنج انكم قد اعنتم ثم مظهر فاسمعوه ثم عمر جامعها كل عامر قفراً وكل بيت قفراً . قال لي بدمشق ابو الحسين اليزيدي او يزيد من نسب جدي دخل واياه ادعى قال . ابو عبدالله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي : كنت بمكة وسيف الجنابي قد اخذ الحاج ورأيت رجلا منهم قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب اليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمناً اي أمن هنا فقلت له يافتى العرب تؤمنني سيفك افسر لك هذا قال : نعم قلت : فيها خمسة

اجوبة الاول ومن دخله كان آمناً من عذابي يوم القيمة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الامر كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن والرابع لابقاء عليه الجدية اذا حج في الحل والخامس من الله عليهم بقوله انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هذه الحية ابي توبة فقلت : نعم فلاني وذهب

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو يدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم انقلاب الدول ويدعي فيه اصحابه الالهية ويقول بالحلول ويظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة وفي تضاعيف ذلك يدعي ان الالهية قد حلت فيه وناظره علي بن عيسى الوزير فوجده صفراً من العلوم وقال تعلمك لطهورك وفروضك اجدى عليك من رسائل انت لا تدري ما تقول فيها كم تكتب الى الناس تبارك ذو النور الشعشعاني الذي يلمع بعد شعشعته ما احوجك الى ادب حدثني ابو علي الفارسي قال رأيت الحلاج واقفاً على حلقة ابي بكر الشبلي انت بالله ستفسد خشبة فنفض كمه في وجهه وانشد

يا سر سر يدق حتى يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطناً تبدى من كل شيء لكل شي
يا جملة الكل لست غيري فما اعتذاري اذاً الي

وهو يعتقد ان العارف من الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدا واليها يعود ومنها يستمد ضوءه انشدني الناهر لنفسه

ارى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
اقال الله حين عشقتموه كلوا اكل البهائم وارقصوا لي

وحرك يوماً يده فانتثر على قوم مسك وحركه مرة اخرى فانتثر دراهم فقال له بعض من حضر ممن يفهم ارني دراهم معروفة أؤمن بك وخلق معي ان اعطيتني درهماً عليه اسمك واسم ابيك فقال وكيف هذا وهذا لا يصنع قال من احضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع وكان في كتبه اني مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود فلما شاع امره وعرف السلطان خبره على صحة وقع بضربه الف سوط وقطع يديه ثم احرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلثمائة وقال لحامد بن العباس : الا اغرقك فقال حامد : الآن صح انك تدعي ما قرفت به . وابن ابي العزاقر ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني اصله من قرية من قرى

واسط تعرف بالشلمغاني وصورته صورة الحلاج ويدعي عنه قوم انه آله وان الله حل في آدم ثم في شيث ثم في واحد واحد من الانبياء والاوصياء والأئمة حتى حل في الحسن بن علي العسكري وانه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن ابي عون صاحب كتاب التشبيه ومنه ضربت عنقه وكانوا يبيحونه حرمهم واولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة

وكان احمد بن يحيى الراوندي من اهل مرو الروذ حسن الستر جميل المذهب ثم انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت له ولان علمه كان اكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مرداً تعاصيه ومن يقوم لمستور اذا خلعا

صنف كتاب التاج يحتج فيه لقدم العالم فنقضه ابو الحسين الخياط

الزمرد يحتج فيه لابطال الرسالة نقضه الخياط .

نعت الحكمة سفه الله تعالى في تكليف خلقه امره . نقضه الخياط .

الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن

القضيب يثبت ان علم الله محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً نقضه الخياط

الفريد في الطعن على النبي عليه الصلوة والسلام

المرجان في اختلاف اهل الاسلام .

علي بن العباس بن جريج الرومي قال ابو عثمان الناجم دخلت عليه في علته التي مات فيها وعند رأسه جام فيه ماء مثلوج وخنجر مجرد لو ضرب به صدر لخرج من ظهره فقلت : ما هذا قال : الماء ابل به حلقي فقلما يموت انسان الا وهو عطشان والخنجر ان زاد علي الالم نحرت نفسي ثم قال : اقص عليك قصتي لتستدل بها على حقيقة نيتي اردت الانتقال من الكرخ الى باب البصرة فشاورت صديقنا ابا الفضل وهو مشتق من الافضال فقال اذا جئت القنطرة فخذ على يمينك وهو مشتق من اليمن واذهب الى سكة النعيمة وهو مشتق من النعيم فاسكن دار ابن المعافى وهو مشتق من العافية فقامته لنفسي ونحسي فشاورت صديقنا جعفراً وهو مشتق من الجوع والفرار فقال : اذا جئت القنطرة فخذ على شمالك وهو مشتق من الشؤم واسكن دار ابن قلابة وهي هذه لاجرم قد انقلبت بي الدنيا واضرما على المصائب في هذه السدرة صحيح سبق فيها الا في السياق ثم انشدني

ابا عثمان انت قريع قومك وجودك للعشيرة دون لومك

تمتع من أخيك فما أراه ... يراك ولا تراه بعد يومك

وألح به البول فقيل له البول [illegible] فقال

غداً ينقطع البول ... ويأتي الويل والهول
ألا ان لله [illegible] ... يهول دونه الهول

ومات من الغد فارجو ان يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذبحه نفسه والرسول عليه الصلاة والسلام يقول من وجأ نفسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته بيده يجأ بها نفسه خالداً مخلداً في النار ومن تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى على مخزيه في النار خالداً مخلداً ومن تحسى سماً حشر يوم القيامة وسمه بيده يتحساه خالداً مخلداً [1] في النار

قال الحسن بن رجاء الكاتب حاجبي اوقفه الى خراسان بلغني انه لا يصلي فوكلت به من لازمه اياماً فلم يره صلى يوماً واحداً فعاتبته فقال : يا مولاي قطعت الى حضرتك من بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم اره يقبل علي ولو كنت اعلم ان الصلاة تنفعني وتركها يضرني ما تركتها فاردت قتله فخشيت ان يحمل علي غير هذا

وفي تاريخ كثيرة انه احضر المازيار الى المعتصم وقبل قدومه بيوم سخط على الافشين لان القاضي بن ابي دواد قال للمعتصم : اعزل ويحك امرأة عربية وهو كاتب المازيار وزين له العصيان فاحضر كاتبه وتهدده المعتصم فأقر انه كتب الى المازيار لم يكن في الارض ولا في العصر بلية الا انا وانت وبابك وقد كنت حريصاً على حقن دمه حتى كان من امره ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجه اليك عسكر من عساكر القوم فان هزمته وثبت انا بملكهم في قرار داره فظهر الدين الابيض فجاء المازيار بجواب هو عنده فظاهر يجمع بين الافشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكي عنه وقيل للمعتصم ان وراء المازيار مالاً جليلاً فانشد

ان الاسود اسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ذكروا ان الذين قتلوا ثلاثة آلاف الف وخمسمائة دباج بالثياب الحمر والخناجر الطوال وانهم وجدوا اسماءهم في رقعة رقعة وفي بلد بلد وكانوا يأخذون من كل واحد علامة خاتمه او ثوبه او منديله او تكته الى الوادي [illegible] القري

فقد لقيت من يحادثني ان علياً رضي الله عنه وكذلك الحاكم [2] وقد ظهر بالبصرة من

---

(١) وقوع لفظ الخلود في هذه الاحاديث للتهديد (٢) كذا في الاصل

يدعي ان جعفر بن محمد عليهما السلام وانه متصل به وروحه فيه ومتحدة به ولو استقصيت القول في هذا الفن لطال جداً ولكن

لابد للمصدور ان ينفثا   للذي في الصدر ان يبثا

بل لو قلت كل ما اعلمه اكلت زادي في محبسي بل كنت انشد

احمل راساً قد مللت حمله   الا فتى يحمل عني ثقله

واستريح الى ان انشد

ليس بشجي كلوم غيري كلومي   ما به ما به وما بي ما بي

ان شكوت العصر واحكامه وذممت صروفه واياه شكوت من لايشكي ابداً وذممت من لايرعوي احداً شيمته اصطفاء اللئام والتحامل على الكرام وهمته رفع الخامل الوضيع ووضع الفاضل الرفيع اذا سمح بالحباء فأبشر بوشك الاقتضاء واذا انار فاحسبه قد انار فما بين ان يقبل عليك مستبشراً ويولي عنك متجهماً مستبشراً الا كلمح البصر واستطارة الشرر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه ولم يمس ماء الحياء مدامعه ظاهره يسر ويونس وباطنه يسوء ويوئس يخيب ظن راجيه ويكذب امل عافيه لايسمع الشكوى ويشمت بالبلوى قد ذممت شيئاً ووقعت فيه انا كالغريق يطلب معاذاً والاسير يندب مطلقاً واستحسن قول علي بن العباس ابن جريج الرومي

الا ليس شيبك بالمنتزع   اما انت عن غية مرتدع

وهل انت تارك شكوى الزما   ن اذا انت تشكو الى مستمع

تشيب اخي الشيب امنية   اذا ما انتهى اليها علم

كنت في حال الحداثة اقرب الناس اليّ واعزهم عليّ واقربهم عندي واجلهم في نفسي مرتبة من قال لي سأل الله في حياتك جعل الله امد الاعمار واطولها فلما بلغت عشر الثمانين جاء الجزع والهلع ثم ارتاع والتاع واخلد الى الاقلاع وهو الذي كنت اتمنى ويتمنى لي اهلي امن صدوف الغواني عني فلما والله عنهن اصد وجوههن وادواتهن اعرف اذ كنت ممن يطيل تحسراً عليهن

للسود في السود آثار تركن بها   لمعاً من البيض تثني اعين البيض

وقول الآخر

ولما رأيت النسر عز ابن داية   وعشش في وكريه جاشت له نفسي

ولا انشد لابي عبادة البحتري

ان ايامه من البيض بيض   ما رأين المفارق السود سودا
واذا المحل ثار ثاروا غيوثا   واذا النقع ثار ثاروا اسودا
يحسن الذكر عنهم والاحاديـ   ـث اذا حدث الحديد الحديدا
بلدة تنبت المعالي فما يثـ   ـغر الطفل فيهم او يسودا

وهذه صفة معرة النعمان بها ادام الله تأييده لاخلت منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت اهلها معترفين بموازنة حلالا ابي العباس احمد بن خلف الممتع ادام الله عزه فاني وجدت آثار تفضله عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء والارض ثناء · قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام أتباعك من هؤلاء الموالي كبلال وعمار وصهيب خير من قصي بن كلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال نعم والله لئن كانوا قليلا ليكثرن ولئن كانوا وضعاء ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى بهم و يقتدى فيقال هذا قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بآبائكم الذين موتوا في الجاهلية فلما يدهده الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها فاتبعوني اجعلكم انساباً والذي نفسي بيده لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر فقال له عمه ابو طالب أبق علي وعلى نفسك فظن عليه الصلاة والسلام انه خاذله ومسلمه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر باكياً ثم قام فلما ولى ناداه اقبل يا ابن اخي فاقبل فقال اذهب وقل ما شئت فوالله لا اسلمك لسوء ابداً فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً مالقي من قومه من الجهد والشدة فقال لقد مكثت اياماً وصاحبي هذا يشير الى ابي بكر بضع عشرة ليلة ما لنا طعام الا البرير في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان يقول اذا ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زمناً مالنا طعام الا ورق البشام اكلناه حتى تقرحت اشداقنا ولقد وجدت يوماً تمرة فجعلتها بيني وبين سعد وما منا اليوم احد الا وهو امير على كورة وكانوا يقولون فمن وجد تمرة قسمها بينه وبين صاحبه ان اسعد الرجلين من حصلت النواة في قسمه يلوكها يومه وليلته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رعيت غنيمات اهل مكة لهم بالقراريط وابتدا امره انه وقف على الصفا ونادى يا صباحاه فجاءوا مسرعين فقالوا ما دهمك ما طرقك قال ما تعرفوني قالوا محمد الامين قال أرأيتم ان قلت لكم ان خيلاً قد طرقتكم في الوادي وان عسكراً قد غشيكم

من الخيل اكنتم تصدقوني قالوا : اللهم نعم ماجربنا عليك كذباً قط . قال : فان الذي انتم عليه ليس لله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا لا اله الا الله واشهدوا اني رسوله واتبعوني تملكوا العرب وتملكون العجم وان الله قال لي استخرجهم كما استخرجوك وابعث جيشاً ابعث خمسة امثاله وضمن لي ان ينصرني بقوم منكم وقال لي : قاتل بمن اطاعك من عصاك وضمن لي ان يغلب سلطاني سلطان كسرى وقيصر ثم انه عليه الصلاة والسلام غزا تبوك في ثلاثين الفاً وهذا من قبل الله الذي يجعل من لاشيء كل شيء ويجعل كل شيء لاشيء يجمد الذائبات ويميع الجامدات يجمد البحر ثم يفجر الصخر وما مثله في ذلك الا كمثل من قال هذه الزجاجة الرقيقة السخيفة احطم بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة فرضها وتنقضها وهذه الآلة الضعيفة اللطيفة تهزم العساكر الكثيرة العدة وكذا حقيقة امره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم اليه صلى الله عليه وسلم بالمدينة لقد وردت على النجاشي وكسرى وقيصر ورأيت جندهم واتباعهم فما رأيت اطوع ولا اوقر ولا اهيب من اصحاب محمد لمحمد هم حوله وكأن الطير على رؤوسهم فان اشار بأمر بادروا اليه وان توضأ اقتسموا وضوءه وان تنخم دلكوا بالنخامة وجوههم ولحاهم وجلودهم وكانوا له بعد موته اطوع منهم في حياته حتى لقد قال بعض اصحابه لاتسبوا اصحاب محمد فانهم اسلموا من خوف الله واسلم الناس من خوف اسيافهم فتأمل كيف استتبع دعوته وهو ضعيف وحده بان هذا سيكون فرآه العدو والولي وما كان مثله في ذلك الا مثل من قال هذه الهباءة تعظم وتصير جبلاً يغطي الارض كلها ثم انذر الناس بها في حال ضعفها وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال : لاتفعل ياعثمان فكأنك بمفتاحها بيدي اضعه حيث شئت فقال : لقد ذلت يومئذ قريش وقلت قال : بل كثرت وعزت وانا استعين بعصمة الله وتوفيقه واجعلهما معيني على دفع شهواتي واشكو اليه عكوفي على الاماني واسأله فهماً لمواعظ عبر الدنيا فلقد عميت عن كلوم عبرها بما جثم على خواطري من الضعف ولست احد مني منصفاً لي منها ولا حاجزاً لرغبتي فيها عنها واين ودائع العقول وخزائن الالباب باولي الابصار صفحاً عن مساوي الدنيا غماضاً لعاجل موفق التنغيص وتزويه اليه يد الزوال وتكمن له الآفات قال كثير

كأني انادي صخرة حين اعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت

واقول اني مذهب كثير باوقاتي في كل لحظة الطرف منك عبرة وفي كل فكرة لي منك

حسرة يا فرقة الصفا ويا ناقضة عهد الوفا ما وفق بخلقه من عرج نحوك ولا سعد من آثر المقام على حسن الظن بك هيهات يا معشر ابناء الدنيا كم في الظاهر اسم الدنيا وفي الباطن الغل الثقيل لم انس عهدا للدنيا كم من يوم لي اغر كثير الاهلة قد احسن مجاوزه وامتد لي ظله فغذاني سابلة بالتي وضحك لي عن كل ما عرفت حتى اذا انس شكل اشكالي وامتزج سروره بفرحي [illegible] فلما قست علي به الدنيا صنعت بالتشتيت الى الف والقصي الى مدته فكسفت بهجته كسوفا وارهقت نضرة وحشته الفراق واطمعنا فرقا في الآفاق بعد ان كنا كالاعضاء الملتئمة والاعضاء [illegible] المتلاصقة وحسرتي في يوم تجمع الفرق كفى وعد

صبحت ما لا بد منه   بالذي لي منه بد

وانشد قول ابن الرومي

الا ليتني بيعت بالثلج   فليت انت عن فيه مرتفع

فقال وابكي بكاء غير جاهل ولا الجاهل ويجب ان ابكي لي بكاي وانشد

لساني يقول ولا فعل   وقلبي يريد ولا الفعل

واعرف رشدي ولا اهتدي   واعلم انكي الجاهل

عرض علي بعض الناس كأس خمر فامتنعت منها وقلت حرام والطبوخ في مذهب الشيخ الاوزاعي وقلت لما عرض ابراهيم بن المهدي على محمد بن حازم الخمرة فامتنع وانشد

أبعد الشيب أصبو   والشيب للجهل حرب

سن وشيب وجهل   أمر لعمرك صعب

يا ابن الإمام فهلا   أيام عودي رطب

وإذ مشيبي قليل   ومنهل الحب عذب

وإذ شفاء الغواني   مني حديث وقرب

فالآن لما رأى بي   العذال ما قد أحبوا

وآض الرشد مني   أيام ألعب وأصبو

آليت أشرب خمرا   ما حج لله ركب

والبات على حسي [illegible] مما [illegible] وخطاب الى [illegible] المشاهد كم حتى كأنهم لكم انما تحتظون من طول بلا تحظون لكن كالوليد كلما يد [illegible] على فراش العطف عليه تصرف اليه المالع بغير طلب منه [illegible] وتصرف عنه القار بغير حذر منه تجزئه [illegible]

الرسول عليه الصلاة والسلام اذ يقول في دعائه : اللهم كلأني كلاءة الوليد الذي لايدري مايراد به ولا مايريد الا متعلق والاذلال اذيال دليله الا [illegible] مطية ورحلا ليوم رحيله ياعلاء الخطبة المحلية انه من سبق الى الماء يظمأ انما منعتك ماتشتهي ضنا بك وغيرة عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : اذا احب الله عبداً حماه الدنيا وانت تشكوني اذا حميتك وتكره صيانتي اذا صنتك الا لاتند عنا انا ليعز الا فقر اليا لافارقنا يامن له بد من كل شيء ارحم من لابد له منك على كل حال الله يغني بشيء عن شيء وليس يغني عنه بشيء ، اللهم قال جبريل للخليل الك حاجة قال : اما اليك فلا الله احق ان يسأل وان اعلى لانه لا يغني بشيء عنه اطلبه اطعه ولا تطمعه ليعطيك فتفتقر وتذل ·
من ترك تدبيره لتدبيرنا ارحناه حل من لوالب القلوب والهم بيده وعزائم الاحكام والاقسام عنده

نسيت ذكري احبة ... يقسون ذنبك عند ذكرك
وجفوتهم وقطعتهم ... كانوا حلافك طوع امرك
وصبرت عند فراقهم ... ما كان عذرك عند صبرك

تركت من اذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركت نهيه وضيعت امره وتبت اليه وعولت في تفضله عليك عليه وملت : يارب قال : لبيك لبيك « واذا سألك عبادي عني فاني قريب » ان كان الحباب وجهك فاتهمك وان قطعت انا اعضاءك فلا تتهمني انت الذي اذا اطعتك ما املت تركتني وانصرفت « واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه » ياواقفا بالتهم كم ابليس يقول لك ماغرك بي تقول حلمك والا لو ارسلت علي صاعقة جمعتني عليك اذ اردت ان تجمعني

امن بعد شربك كأس النهى ... وشمك ريحان اهل التقى
عشقت فاصبحت في العاشقين ... اشهر من فرس ابلقا
ادنياي من غمر بحر الهوى ... خذي بيدي قبل ان اغرقا
انا لك عبد فكوني كما ... اذا سره عبده اعتقا

كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلي الاذنين اسمه قاذوه رأسه في الازمنة الاربعة مكشوف لايتورع عن ركوب مخزية يقال له ياقاذوه ويك تب الى الله فيقول ياقوم لم تدخلون بيني وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً والشارع قد اتسع اسفله وضاق اعلاه والتقت جناحاه فيه حاولت جارة

جارتها مهراساً اثقل من بدنها ففي راس فادوه فرس رأسه وخلطه كخلط الهريسة واعجله عن التوبة وكان ابو احمد صالح يقول لنا احذروا ميتة فلان .

قال جحظة في حديثه خشيت النار ورجوت الشهادة والتوبة فاخذت قطعة من خال الآجر فضربت بها وجهه يعني طينه والخال ينقسم ثلاثة اقسام منها الطين فكيف يصلح من عنده ان التوبة لا تصح من ذنب مع الاقامة على آخر بلا حول ولا قوة أمني من مولاي الشيخ ادام الله تأييده الله قال وقد ذكرت لاعرفه سر أمره الذي جرى لابي القاسم علي بن الحسين المغربي فذلك منه ادام الله عزه واني لحريّ ان يستشري عليّ وان يجعلني في صورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريض التشكّي الذي في عنقه جلالة قدره ووجوبه ونسكه وانا احلفه بالله ليعرف حقيقة ورفعه وإفراده بحمده

كنت ادرس على ابي عبد الله بن خالويه رحمه الله واختلف الى دار ابي الحسين المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت الى بغداد ونزلت على ابي علي الفارسي وكنت اختلف الى علماء بغداد الى ابي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وابي عبد الله المرزباني وابي حفص الكتاني صاحب ابي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأت على المتنبي اغراضها جيدها والجيد عادي ثم سافرت منها الى مصر ولقيت ابا الحسن المغربي فالزمني ان الزمه لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الانصاف والحنو والالطاف فقال لي سراً انا اخاف همة ابي القاسم ان تحوجه الى ان يوردنا ورداً لا نصدر عنه وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب فما كنت احفظها وما اتفق بها فقال لي يوماً ما ترى بالحول الذي نحن فيه قلت واي حول هذا اتعده من مولانا خلد الله ملكه في كل سنة ستة آلاف دينار وابوك من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم فقال اريد ان تصير الى ابوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ولا ارضى أن يجري علينا كالولدان والنسوان فاعدت ذلك على ابيه فقال ما اخوفني ان يخضب ابو القاسم عاتقه من قذله وقبض على لحيته وهامته وعلم ابو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة

وانفذ الي القائد ابو عبدالله الحسين بن جوهر فشرفني بتشريف خلعته فرأيت الحاكم كأنه رأى رأساً تقطر رأسه اليه وقال : هـذا عدوي وعدوك يا حسين فقلت من يد يوماً ما يريه والدهر لا يجتريه وكلمت الله كلنا يقول فكانت ذلته في الحج فاذن فخرجت في سنة سبع وتسعين وحججت خمسة اعوام وعدت الى مصر وقد قتله وجماعة اولاده

سراً يرومون الرجوع اليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولابيكم ببغداد ودائع خمسمائة الف دينار مغربية واغريت بهم فقتلوا وقتلت وبلغني قتلهم بدمشق وانا بطرابلس فدخلت الى انطاكية وخرجت منها الى ملطية وبها الماسطرية خولة بنت سعد الدولة فاقمت عندها الى ان ورد علي كتاب ابي القسم فسرت الى ميافارقين وكان يسر حسواً في ارتغاء قال لي يوماً من الايام : مارأيتك قلت : أعرضت حاجة ؟ قال : لا اردت ان اعاتبك قلت فالعتبى نائباً قال : لا في وجهك اسنى قلت : ولم قال : لمخالفتك اباك فيما تعلم . وقلت له ونحن على الشط بيني وبينه لي حرمات ثلاث البلدية وتربية ابيك لي وتربيتي لاخوته قال هذه حرمة مهتكة البلدية نسب بين الجدران وتربية ابي لك منة لنا عليك وتربيتي لاخوتي بالخلع والدنانير اردت ان اقول له : استرحت من حيث تعب الكرام فخشيت جنون جنونه لانه كان جنونه مجنوناً واصح منه مجنون واجن منه لا يكون وقد انشد :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه

له جنت مجنونة غير انها اذا حصلت منه الب واعقل

وقال لي ليلة اريد ان اجمع اوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسنح لي ما ارضاه فقلت انا اعمل من هذه الساعة قال انت جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذت القلم من دواته وكتبت بحضرته

لقد اشبهتني شمعة في صبابتي وفي هول ما القى وما اتوقع
نحول وحرق في فناء ووحدة وتسهيد عين واصفرار وادمع

فقال كنت عملت هذا قبل هذا الوقت فقلت تمنعني سرعة الخاطر وتعطيني علم الغيب وقلت : انت ذاكر قول ابيك لي ولك وللوأواء الشاعر ولمحسن الدمشقي ونحن في الطارمة اعملوا قطعة في جود جعلت جائزته كتبوا فيها فقلت

بلغ السماء سمو بيـ ـت شيد في اعلى مكان
بيت علا حتى تسو ر في ذراه الفرقدان
فانعم به لازلت من ريب الحوادث في امان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخلع علي وكان ابو القسم ملولا والملول ربما مل الملال وكان لا يمل ان يمل ويحقد حقد من لا تلين كبده ولا تحل عقده وقال لي بعض

الوزير [illegible] معاتباً : أنت حقود [illegible] لكن حقوداً فقلت له أنت لا تعرفه والله ما كان يحمد عوده ولا يرجى عوده ولعمري [illegible] له العقوق . [illegible] إليه [illegible] يبسطه من الطبع الذي هو أصله [illegible] فلما [illegible] كأنه من [illegible] قد ركب الفلك واستوى على ذات الحبك وليس [illegible] عن [illegible] الى [illegible] خلقه فلما رأيته [illegible] في [illegible] نفحت [illegible] سمحة [illegible] واعتقدت وده فيما صار به الوادي

وفي الناس إن رثت حبالك واصل … وفي الأرض عن دار القلى متحول

وأنشدت الرجل أبياتاً اعتذر بها في قطعي له

فلو كان هذا الخير إذ كان شره … عتيداً لقلنا إن خيراً مع الشر
ولو كان إذ لا خير لا شر عنده … صبرنا فقلنا لا يريش ولا يبري
ولكنه شر ولا خير عنده … وليس على شر إذا دام من صبر

ويقول يشهد الله حقاً ويميناً أوجبه [illegible] الكعبة [illegible] والفضة [illegible] دنانير ودراهم وستائرها الكعبية وأرباب [illegible] وحرب [illegible] دم [illegible] وعبرة أرمل وصبي يتيم وأنا [illegible] إلى الشيخ [illegible] من [illegible] فيه لأنه قد شاع ذكره في جميع [illegible] الشمس والقمر [illegible] في بدائع الأخبار وكتب بسواد الليل على بياض النهار ولنا في [illegible] بين منظوم ومنثور كمن أمد النار بالنور وأهدى الضوء إلى القمر [illegible] في البحر [illegible] الفلك سرعة إذ كان لا يجهل الشمس [illegible] ولا يطرد [illegible]

ولقد سمعت من رسائله [illegible] فقال [illegible] فلما [illegible] يشهد الله [illegible] والله لو صدرت عن حضر من خزائنه [illegible] يطلب [illegible] يرجع إلى هذا [illegible] وهو [illegible] لكان ذلك [illegible] حديثاً والله لقد رأيت علماء [illegible] إذا قرأت عليهم الكتب ولا سيما الكبار [illegible] الذين يتحاشون من [illegible] والعجب العجيب [illegible] من الأذكياء [illegible] والقول [illegible] ومن [illegible] عليه معانيه ومبانيه .

حدثني أبو علي الصقلي بدمشق قال : كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه

من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزانته واخرج كتب اللغة وفرّقها على اصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته وذهبت الى ابي الطيب اللغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة فاجاب بمو بغيره قدرة على الجواب وقال ابو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظًا وقال لي ابو عمر كنت املي اللغة عن ثعلب على خزف واجلس على دجلة احفظها وارمي بها وانا تعبت وحفظت نصف عمري وانسيت نصفه وذلك اني درست ببغداد وخرجت عنها وانا طري الحفظ ومضيت الى مصر فامرجت نفسي في الاغراض البهيمية والاعراض الوهمية واردت بزعمي وخديعة النفس اللئيم ان اذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طلب العلم والادب ونسيت ان العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الافهام اللطيفة وكنت اكتب خمسين ورقة في اليوم وادرس مائتين فصرت الآن اكتب ورقة واحدة وتحكي عيناي حكاً مؤلمًا وادرس خمس اوراق وتكل ثم دفعت الى اوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا ادب بل في فضة وذهب فلو كنت اياسا صرت باقلا واضع كتابًا عن يميني واملّه عن شمالي واريد مع ضعفي ارتقاد لنفسي معاذًا بظهر غير ظهير بل كسير عقير وصلب غير صليب ان جلست فهو كالدمل وان مشيت فحملي دمامل ومعي بقية نزرة يسيرة من جملة كثيرة لو وجدت ثقة اعطيته اياها ليعود علي بما اروّح به جسمي من الحركة وقلبي من الشغل وانا احذر من ادفعها اليه وبقي ان يردها الي

ودفع رجل الى صديق له جارية اودعها عنده وذهب في سفره فقال بعد ايام لمن يأنس به وسكن نفسه اليه : يا اخي ذهبت امانات الناس اودعني صديق لي جارية في حسابه انها بكر جربتها فاذا هي ثيب . ومن طريف الاخبار ان بنت اختي سرقت لي ثلاثة وثمانين دينارًا فلما هددها السلطان الفاضل اطال الله بقاءه ومد مدته وادام سموه ورفعته واخرجت اليه بعضها قالت : والله لو علمت ان الامر يجري كذا كنت قتلته فاعجبوا من هرستي وزوني والله لولا ضعفي وعجزي عن السفر لخرجت اليه متشرفًا بمجالسته ومعاشرته فاما مذاكرته فقد يئست منها لما قد استولى علي النسيان واحتوى على قلبي من الهموم والاحزان والى الله الشكوى لا منه وليس يحسن ان اشكو من يرحمني الى من لا يرحمني وليس بحكيم من شكا رحيماً الى غير رحيم وكان ابو بكر الشبلي يقول : ليس غير الله غير ولا عند غير الله خير . وقال يومًا : ياجواد ثم امسك مفكرا ورفع رأسه ثم قال : ما اوقحني اقول لك ياجواد وقد قيل في بعض عبيدك

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وقد قيل في آخر

تراه اذا جئته متهللا كأنك تعطيه الذي انت سائله

ثم قال: بل اقول بالجواد انه كل جواد وبجوده جاد من جاد. ودخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظني وفي يد الرشيد كوز ماء فقال: مهلاً يا امير المؤمنين أرأيت ان اقدر الله عليك متقدراً فقال لن امكنك من شربة الا بنصف ملكك اكنت فاعلاً ذلك قال: نعم قال: اشرب هنأك الله فلما شرب قال: أرأيت يا امير المؤمنين ان لو اسفت نفس هذا المقدر عليك فقال: لن امكنك من اخراج هذا الكوز الا أن استبد بملكك دونك اكنت فاعلاً ذلك قال: نعم قال: فاتق الله في ملكك لا يساوي الابولة وكيف اشكو من فاتني وفاتني نيفاً وسبعين سنة كان قميصي ذراعين فوكل بي والدين حدبين مشفقين يتناهيان في دقته ورقته وطيبه فلما صار اثني عشر ذراعاً تولاه هو وطعامي ما اجاعني قط ولا اعراني والذي هو يطعمني ويسقين خاطب ربه بالادب فقال: وإذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض الى نفسه لانها تنفر من الاعراض والامراض وكل شيء يطرأ على الانسان لا يقدر على دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم والسرور والخصب والجدب والغنى والفقر فهو منه تقدست اسماؤه الا ترى انه لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه وما يقدر على دفعه فهو منه مثل ان يريد الكتابة فلا يقع منه البناء او يريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعشة لا يقدر على امساك يده ومن ليست به يقدر على امساكها

كنت أمس وبين يدي انسان يقرأ ويحزن: «يوفون بالنذر ويخافون» ويبكي فخطر لي خاطر فقلت لا بعد هؤلاء القوم صلوات الله عليهم الا لا انذر ولا اسيء ولا اخاف شقاء ولا عناء ولو كنت اخاف ما اصبحت محموماً وكتبه وحدثني من اثق به ولا اتهمه من ابيه وكان زاهداً قال: كنت مع ابي بكر الشبلي ببغداد في الجانب الشرقي باب الطاق فرأينا شاوياً قد اخرج حملاً من التنور كأنه بسرة سحاً والى جانبه قد عمل حلاوي فالوذجاً فوقف ينظر اليهما وهو ساه مفكر فقلت يا مولاي: دعني آخذ من هذا وهذا ورقاقاً وخبزاً ومنزلي قريب تشرفني بأن تجعل راحتك اليوم عندي فقال: يا هذا اظننت اني قد اشتهيتهما وانما فكري في ان الحيوان كله لا يدخل النار الا بعد الموت ونحن ندخلها احياء

يارب عفوك عن ذي شيبة وجل   كأنه من حذار النار مجنون
قد كان ذا مهل لا مقدمة   اياما يجري بلا عقل ولا دين

تمت الرسالة والحمد لله ذي الافضال وصلواته على محمد وعترة الآل وفرغت من هذه السوداء التي كتبت في السوداء . وانا اعتذر من خطل فيها وزلل فات . الخطأ مع الاعتذار والاعتراف واقرب موضوع من العفو . ومن ذا الذي يؤتى الكمال فيكمل . قال عمر بن الخطاب : رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي . واسأله ادام الله عزه تشريفي بالجواب عنها فان هذه الرسالة قد استحسنت وكتبت عني وسمعت مني وشرفتها باسمه وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبتها الى الزهرجي التي كانت اكبر الاسباب في دخولي الى حلب واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله وبه الثقة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

* * *

الدين والدنيا

واين يلتقيان وكيف يفترقان

احرث لدنياك ادخار الراغب فيها . وتزود من دينك زاد الراغب عنها

نسمع في الارض اليوم ضجة تصم الآذان منشأوها اختلاف المذاهب والاديان . وهي لكثرة الصائحين فيها قد صارت اشبه شيء بلغط زمرة من المغنين وقد علت اصواتهم واختلفت لهجاتهم وتباينت نغماتهم فيقف السامع الصحيح الاذن مبهوتا من خلط هؤلاء المغنين كخلطنا بين الدنيا والدين

يريد بعض الناس ان يكون الدين كل شيء . وينظر غيرهم الى الدين كأنه لا شيء . وبين هؤلاء واولئك افراد ودول واقوام يتشاحنون ويتجاذبون ويتخاذلون ويقتتلون تعصبا للدين وكلهم في الحقيقة يخطئون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها امة واحدة ووحد لها الصراط الى عليين

في تعاليم كنفوشيوس المسالمة والاخاء اساس الدين . وفي الديانات الفتشية وهي احط الاديان في نظر الراقين لا نجد ما نحن فيه الآن بسبب اختلاف المعتقد بل كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة على لسان سليمان الحكيم « من يعز